الاتقان . ويختلف ايضاً باختلاف طبقات الناس وصنائعهم ودرجاتهم في المعارف وتعرضهم للاخطار وكل ذلك دليل على ان عمر الانسان قد قصر لانهُ لا يراعي نواميس الطبيعة

ماذا نفعل بالمدافن

لا يمرُّ بنا اسبوع الاَّ ونسمع شكاوي متعدّدة من المدافن وقربها من منازل الناس وليس ذلك بمستغرب في بلاد كان الاهتمام بمدافن الموتى اكبر شاغل فيها للاحياء من قديم الزمان . واذا صحَّ الاستدلال على اعمال الناس من آثارهم كانت اكثر اعمال المصريين القدماء قاصرة على عبادة الآلهة وتحنيط الاموات ودفنهم . والظاهر ان لذلك سببين كبيرين الاول ديني وهو الاعتقاد بالخلود وحفظ الاجساد لكي تعود الارواح اليها والثاني صحي وهو حفظ ماء النيل مما يحلُّ بالاجساد من الفساد اذا دفنت في الارض بغير تحنيط وقد ذهب بعض الباحثين الى ان السبب الثاني هو السبب الاصلي وان السبب الاول متفرّع منهُ

ومهما يكن من امر الداعي الذي دعا المصريين القدماء الى تحنيط موتاهم واتخاذ المدافن لهم في الصخور الشاخصة والجبال الشامخة فلا خلاف في ان ماء النيل يتخلل كل تربة القطر المصري وفي ان الماء الذي يجري تحت الارض اكثر من الماء الذي يجري في النهر وترعه . ولا خلاف ايضاً في ان الذين يموتون بالامراض المعدية كالجدري والتيفوس ونحوها تصير اجسادهم مجمعاً لجراثيم هذه الامراض فتتكاثر فيها بعد الموت وتنتشر منها فتصعد مع الهواء وتجري مع الماء وتعرّض كثيرين لهذه الامراض

ولما اجتمع مؤتمر الهجينين في بلاد الانكليز في الاسبوع الماضي خطب فيهِ الدكتور الشهير السر هنري طمسن خطبة بليغة عدَّد فيها المضار الناتجة عن دفن الذين يموتون بالامراض المعدية في التراب او في القبور المتبوَّة وافاض في هذا الموضوع وبيَّن سوء العاقبة على اهالي المدن والاماكن المزدحمة بالسكان من وجود المدافن بقربهم حاسبًا ان المصاب بمرض معدٍ يضرُّ بمماتهِ اكثر مما يضرُّ بحياتهِ لان جراثيم الداء المعدي قلما تنتشر منهُ وهو حي ولكنها تتكاثر في جسمهِ وتنتشر منهُ وهو ميت حتَّى يبقى جسد الميت شهرين او اكثر وهو مصدر تنبعث منهُ جراثيم العدوى بل يبقى سنين كثيرة والجراثيم تنتشر منهُ ولا تفعل فعلها المضرَّ الاَّ اذا تغير الهواء تغيُّرًا مُعِدًّا لانتشار ذلك الداء . وذكر الطرق التي استُعملت لازالة العدوى من اجساد الذين يموتون بالامراض المعدية وقال انهُ قد ثبت بالامتحان ان الحرق

افضلها كلها وذلك بان توضع الجثة في اناء محكم في فرن حرارته ثماني مئة درجة بميزان سنتغراد فلا يبقى منها بعد ساعة من الزمان الاّ قليلٌ من الرماد الابيض النقي

وما اتم خطبته حتّى تصدى له العالم سيمور هادن وقال ان دفن الموتى في التراب خير السبل للوقاية من العدوى وبنى كلامه على القضايا الآتية وهي اولاً ان التراب هو مصدر اجساد الاحياء والاموات ومعادها . وثانيًا ان الاخطار التي يذكرها اصحاب مذهب الحرق ليست ناتجة من دفن الموتى بل مستقلة عنه . وثالثًا ان سبب هذه الاخطار ليس دفن الجثث في التراب بل ابقاؤها زمانًا طويلاً قبل دفنها ثم دفنها حيث لا يصل التراب اليها . ورابعًا ان الدفن يقتضي طمر الجثة في التراب حتّى تتحلّل فيه . وخامسًا ان حفظ الجثة في تابوت يقيها من فعل التراب جهلٌ مضرٌ وقد كان من نتيجته ان كثرت التوابيت والجثث وضقنا بها ذرعًا . وسادسًا ان الدواء الوحيد لذلك هو ان يجبر جميع الناس على الجري بموجب الناموس الطبيعي الذي يقضي بان نعيد التراب الى التراب

ثم دارت رحى المناظرة على هذا الموضوع وكثر فيه الجدال واخيرًا وقف السر هنري ملمسن الخطيب الاوّل وقال ان حرق اجساد الموتى هو الواسطة الصحية الحقيقيّة ولا سيما اذا ماتوا بامراض وبائية فوافقه جميع الاعضاء على هذا القول الاّ اربعة منهم ونقل الينا التلغراف ذلك في حينه

ويستنتج مما كتبه العلماء في هذا الموضوع ومما تقضي به النواميس الطبيعية والقوانين الصحية انه اذا لم يمت الانسان بمرض وبائي فالدفن بالتراب مباشرة خير الوسائط واسهلها ولكن يشترط ان يكون المدفن بعيدًا عن مجاري الماء ما امكن وان يعمّق القبر ما امكن حتّى لا يتصل شيء من الجثة بالماء الذي نشربه ولا بالهواء الذي نتنفسه . والتراب كافٍ لحل الجثة وامتصاص كل ما فيها من الغازات وتركيبها مع عناصر مختلفة تركيبًا كيماويًا يزيل ما فيها من الخواص السامة . ولا بدّ من ابعاد المدافن عن مساكن الناس حينئذٍ وجعلها في ارض شاخصة في سفح الجبال حتّى لا يصل اليها ماء الفيضان ولا يبلغها النشع

اما الذين يموتون بامراض وبائية فالطريقة المستعملة في هذه البلاد وهي غمر اجسادهم بالجير الحي تفي بالغرض اذ لا يحتمل ان جراثيم الامراض تنجو من فعل الكاوي . والدفن في القبور المقبوّة كما في بعض مدافن المسيحيين في هذا القطر والقطر الشامي مضرٌ على كل حال سواء كان المرض معديًا او غير معدٍ

اما المدافن القديمة التي بليت اجساد المدفونين فيها منذ عهد طويل وصارت

رميًا فلا خير في اثارة ترابها ونقلها من اماكنها الاَّ اذا اريد استعمالها للبناء مثلاً ولم يرد اقرباء المدفونين فيها ان تبقى رفات اسلافهم تحت اقدام الاحياء . لان اثارة تراب المدافن القديمة قد لا يخلو من الضرر لا سيَّما وان بعض المدفونين في هذه المدافن قد ماتوا بالطاعون او نحوهِ من الاوبئة ولم يثبت حتَّى الآن ان جراثيم هذه الاوبئة لا تبقى حية سنين كثيرة بل قد ثبت ما يناقضهُ وهو ان الامراض الوبائية كانت تفشى في بعض الاماكن على اثر اثارة تراب المدافن القديمة فيها كانَّ جراثيم الامراض بقيت حية فيها كما تبقى بزور الحنطة سنين كثيرة ثمَّ لما كشفت للهواء انتشرت فيهِ ونمت وتكاثرت

هذه خلاصة ما ثبت علميًّا في هذا الموضوع الجلل فلتكن جوابًا للذين سألونا رأينا فيهِ

الصحة والكيمياء والطبيعيات

رئيس هذا الفرع السر هنري رسكو الكيماوي الشهير وقد افتتحهُ بخطبة وجيزة في هذا الموضوع قال فيها ان كل فروع المؤتمر الصحي تعود الى الكيمياء والطبيعيات لان مراعاة نواميسهما قوام الصحة واهمال نواميسهما مجلبة للمرض . ونحن الكيماويين والطبيعيين نضع اساس العلوم الصحية ونرحب بالذين يساعدوننا في اقامة البناء من البيولوجيين والاطباء والمهندسين والسياسيين الى ان تضعف الامراض التي يمكن اتقاؤُها وتبلغ اقلها وتزيد الصحة والراحة وتبلغا اعظمها

واذا اردنا ان نعرف ما تمَّ في البلاد من هذا القبيل مدة الخمسين سنةً الاخيرة وجب ان نراجع ما كانت عليهِ احوال السكان حينئذٍ ونقابلها بما هي عليهِ الآن . فمنذ خمسين سنة لم تكن مبادئُ علم الصحة معروفة الاَّ عند شرذمة صغيرة وقلما حاولت الحكومة العمل بها الاَّ في اوقات خصوصية بعيد بعضها عن بعض . ومنذ خمسين سنة لم نكن نعرف شيئًا يذكر عن حقيقة الامراض الوبائية وكيفية انتشارها ولا كنا نعرف ان الماء واللبن يحملان كثيرًا من جراثيم الامراض المعدية وكان يظن حينئذٍ ان الماء ما دام صافيًا باردًا فهو نقيٌّ خالٍ من كل شائبة نافع لمن يشربهُ ولذلك كان سكان المدن يفضلون ماء آبارهم على المياه الجارية من مكان بعيد مع انهُ قد ثبت ان مياه الآبار تكون في الغالب حاوية سمًّا ناقعًا

ومنذ خمسين سنة لم يكن احد يحسب ان وجود آبار المراحيض تحت البيوت مضرٌّ بصحة سكانها مع ان الصينيين وغيرهم من الامم الذين ننكر عليهم التمدن الآن كانوا يوجبون